الفلسفة و الايكولوجيا
قراءة في مصدري النظام الايكولوجي المعاصر لـ لوك فيري و العقد الطبيعي لميشال سير

Philosophy and EcologyA
reading in the two contemporary ecosystem sources by Luc Ferry and Michel Serre's Natural Decade

سواريت بن عمر
جامعة وهران2 محمد بن احمد(الجزائر)
souarit.benamar@univ-oran2.dz

تاريخ الاستلام: 2021/01/10 تاريخ القبول: 2021/02/28 تاريخ النشر: 2021/08/01

ملخص:

تعتبر الايكولوجيا (l'ecologie) حديث الساعة في عالمنا المعاصر. و مرجع ذلك للحالة الكارثية التي أصبحت تعيشها البيئة في عصر الحداثة وما بعدها و لهذا بالذات ظهر مجموعة من المفكرين والفلاسفة نظروا لها. أمثال لوك فيري و ميشال سير في فرنسا وهانس جوناس في ألمانيا.

الكلمات المفتاحية: الايكولوجيا، لوك فيري، ميشال سير، العقد الطبيعي

Abstract:

Ecology (l'ecologie) is the discourse of the hour in our contemporary world. This is a reference to the disastrous state that the environment is experiencing in the era of modernity and beyond, and for this very reason a group of thinkers and philosophers have looked at it. The likes of Luc Ferry and Michel Ser in France and Hans Jonas in Germany.

Keywords: Ecology, Luc Ferry, Michel Ser, natural contract

مقدمـــــة

تعتبر الايكولوجيا (l'ecologie) حديث الساعة في عالمنا المعاصر. و مرجع ذلك للحالة الكارثية التي أصبحت تعيشها البيئة في عصر الحداثة وما بعدها و لهذا بالذات ظهر مجموعة من المفكرين و الفلاسفة نظروا لها. أمثال لوك فيري و ميشال سير في فرنسا وهانس جوناس في ألمانيا. من هنا ولضرورة معرفية و منهجية وجب أن نتساءل ما هي الايكولوجيا؟ و ما هي طبيعة التنظيرات الفلسفية التي قدمها كل من لوك فيري و ميشال سير؟ و ما هي الحكمة العملية من وراء هذه التأملات؟

تعريف الاشتقاقي كلمة ايكولوجيا بالفرنسية écologie مشتقة من الكلمة الإغريقية oikos ومعناها المنزل و من لوغوس . التي تعني علما أو دراسة[1].

التعريف الاصطلاحي الإيكولوجيا علم يدرس علاقات العضوية (l'organisme) مع المحيط والوسط الذي تعيش فيه و يعتبر العالم الألماني هايكل (haeckel) (1834-1919) هو الذي ادخل هذا المفهوم في الدراسات المعاصرة[2]. و قسمت كلمة ايكولوجيا في معناها الاصطلاحي في الجامعات الأمريكية إلى قسمين متعارضين الأول هي الايكولوجيا العميقة (l'écologie profonde) التي تجعل من البيئة و الحياة مركزا للكون و القسم الثاني هي الايكولوجيا السطحية (l'écologie superficielle) و تسمى كذلك بالايكولوجيا المحيطية و قد جعلت من الإنسان مركزا للكون[3] .

مفهوم الايكولوجيا عند لوك فيري Luc ferry

ينطلق لوك فيري Luc ferry في معالجة و تحليل مشكلة الايكولوجيا من قاعدة "أن الطبيعة ضد الإنسان"[4] و التي جعل منها تيارا إيكولوجيا يتأمل و ينظر من خلاله لكل الأفكار التي لها علاقة وثيقة بالفكر الايكولوجي في بعديه النظري و الإجرائي.

---

[1] Jacqueline Russ. Dictionnaire de philosophie. Bordas 2004. P114

[2] Ibid .p115

[3] Albert Morfaux. Dictionnaire de la philosophie. Bordas 2005. P101

[4] Luc ferry. Le nouvel ordre écologique. l'arbre, l'animal et l'homme, grasset, paris 1992. P30

يرى لوك فيري Luc ferry "أن الايكولوجيا في معظم الدول الكاثوليكية لجنوب أوروبا لم تجد منظرين بعد من نفس طراز و نمط الدول الأنغلوساكسونية أو الجرمانية و لهذا بالذات تشكل هذه الدول التي سبق ذكرها مادة خصبة للتفكير و التأمل في هذا المجال"[5], و بالتالي إن هناك فرضية جوهرية مفادها أن هناك علاقة حيوية بين الديانات و مشكلة الطبيعة تحتاج بدون شك إلى دراسة معمقة , ونلاحظ في عالمنا المعاصر أن كل النقاشات التي تدور حول موضوع الإيكولوجيا أخذت شكلا فلسفيا منسجما و متكاملا في بنائها النظري , و برزت لوحة هذا المبحث الإيكولوجي من خلال ثلاث تيارات مختلفة و متميزة في طرحها الفلسفي وبالرغم من عدم تشابه مبادئها وأسسها , فإن موضوعها الأساسي يبقى واحد و هي النقطة المشتركة فيما بينها جميعا و يتجلى ذلك من خلال علاقة الإنسان بالطبيعة, لكن السؤال الأساسي الذي يمكن طرحه لتحديد مكانة الإيكولوجيا في الساحة الدولية. ما هي طبيعة هذه التيارات وكيف فهمت و تصورت طبيعة الإيكولوجيا؟

يحدد لوك فيري Luc ferry ثلاث تيارات مهمة في مجال عالم البيئة تتحدد صورتها على النحو التالي :

التيار الأول : يعتبر هذا التيار بدون شك أكثر التيارات بساطة و الأقل تعقيدا و دوغمائية وتنتفي عنه كل صفة مذهبية , ينطلق هذا التيار من فكرة و هي أن الإنسان هو جزء هام في الطبيعة يجب الاهتمام والمحافظة عليه و بالمثل يجب عليه هو كذلك أن يحافظ عليها أي الطبيعة,لأن العلاقة تبقى تبادلية بينهما,إن المحيط الذي يعيش فيه الإنسان لا يملك قيمة ظاهرية خارجية, بل بالعكس إن الوعي المصاحب للإنسان في تعامله مع البيئة هو الذي يملك صفة و خاصية التحطيم للوسط الذي يحيط به ,و لهذا فإن الإنسان بإمكانه أن يجعل وجوده في خطر و في كل لحظة و ذلك عندما يحرم نفسه من شروط الحياة الجيدة والحسنة (le bien être) في هذه الأرض و انطلاقا من التصور الإنساني أي عندما يجعل الإنسان نفسه مركزا للكون فبإمكانه أن يرد للطبيعة اعتبارها وتقديرها اللائق بها"[6] .

إن الطبيعة هي ما يحيط الإنسان و هامشها أهم من مركزها حسب لوك فيري (Luc ferry) .

[5] Ibid. p31

[6] Ibid. P32

و من هنا أصبحت البيئة هي موضوع حق و معادلة معقدة و مركبة تملك قيمة في ذاتها.

أما التيار الثاني : فقد أعطى معاني و دلالات أخلاقية لبعض الكائنات الحية الغير إنسانية وجعل هذا التيار من مبدأ المنفعة مبدأ :مهما و أساسيا إذ لا يجب على الإنسان أن يبحث فقط على مصلحته, لكن بالعكس يجب التقليل و التقليص من ألآلام الناس في العالم, و في نفس الوقت يجب على الإنسان بذل مجهودات أكبر من أجل الرفع من شروط الحياة الخيرة و الحسنة والجيدة (le bien être) .

نجد هذا التصور في الثقافة الأنغلوساكسونية أين ظهرت حركة سميت بحركة " الحرية الحيوانية " التي كانت ترى أن كل الكائنات بما فيها الإنسان هي تركيب بين اللذات والآلام وبالتالي يجب أن تكون موضوعا له حقوق خاصة به و تعالج هذه القضية كما هي ,و لهذا فإن التيار الأول الذي جعل من الإنسان مركزا للكون قد وضع بين قوسين باعتبار أن الحيوانات كذلك في هذا التيار الثاني توجد ضمن خانة الاهتمامات الأخلاقية مثلها مثل الإنسان"[7] .

أما فيما يتعلق بالتيار الثالث و الذي عرف من خلال عملية نضالية من أجل الطبيعة سميت "بحقوق الأشجار" أي الدفاع عن الطبيعة كما هي بما فيها النباتات و المواد المعدنية, إن هذا الشكل أصبح الإيديولوجيا المهيمنة للحركات الإيكولوجية في ألمانيا و أمريكا و حاول إعادة الاعتبار للإنسانية و قد وجد هذا التيار مجموعة من المثقفين العضويين يدعمونه ويوجهونه بأفكارهم وتصوراتهم العميقة من أمثال ألدو ليوبولد (Aldo Léopold) في الولايات المتحدة الأمريكية وهانس جوناس (Hans Jonas) في ألمانيا من خلال مؤلفه مبدأ المسؤولية (le principe de la responsabilité) الذي ظهر عام 1979 و طبعت منه أكثر من 150 ألف نسخة و ثم تداولها من طرف القراء , و أصبح الكتاب بمثابة إنجيل اليسار الألماني دون أن ننسى ميشال سير (Michel serres) في فرنسا"[8] إذ قال فيه لوك فيري (Luc ferry):"إننا نشك أن تكون أطروحاته قد فهمت في فرنسا لأنها تحمل طابع أمريكي "[9]

و يعرف على ميشال سير (Michel serres) أنه كان يدرس في جامعة كاليفورنيا لسنوات عديدة ويلم بكل الأدبيات الإيكولوجية في أمريكا.

[7] Ibid. p33

[8] Ibid. p 34

[9] Ibid. p35

العقد الطبيعي عند ميشال سير (Michel serres)

يرى ميشال سير (Michel serres) الفيلسوف الفرنسي أن التفكير في الطبيعة يجب أن ينطلق من مفاهيم قانونية لكي نعيد التوازن للطبيعة من جديد و لهذا بالذات أبدع ميشال سير (Michel serres) مفهوم العقد الـطبيعي (Le contrat Naturel) .

مفهـوم عقد الطبيعة عند ميشال سير :

يوجد واحد أو أكثر من توازن في الطبيعة, قد تم وصفه و تشكيل دعائمه و أسسه العلمية من طرف الميكانيكا, علم الفيزلوجيا, علم الديناميكا, الإيكولوجيا أو نظرية الأنساق; و حاول الإنسان من خلال أنظمته الثقافية أن يبدع كذلك الكثير من التوازنات ذات طبيعة إنسانية أو اجتماعية مقررة, محددة ومنظمة من طرف الأديان ,القوانين أو السياسات, لكن ما ينقصنا حسب ميشال سير (Michel serres) "هو عملية التفكير و البناء من أجل إيجاد توازن متكامل و كلي بين هذه المجموعات العلمية والثقافية والدينية و القانونية التي اخترعها الإنسان في حياته الاجتماعية المغلقة على ذاتها أثقلت الطبيعة من جديد من خلال مجموع علاقتها مع الأشياء ,العالم و من خلال نشاطات الإنسان كذلك, مما شكل خطرا على الطبيعة"[10] في وقت كانت تستدعي فيه الضرورة حسب ميشال سير (Michel serres) "إيجاد توازن وانسجام بين قوى الطبيعة و التقنيات التي اخترعها العقل الإنساني لكن عماء وصمم الحتمية الطبيعية قد وقف حاجزا و عائقا أمام أجددنا الأوائل في وضع عقد مع الطبيعة مما ساهم في نهايتهم و طحنهم بقسوة شديدة من طرفها أي الحتمية الطبيعية[11] وها نحن في عالمنا المعاصر حسب ميشال سير (Michel serres) "ننتقم من الطبيعة بالاستغلال المفرط و الزائد لها و هذا يشبه ذلك الاستعمال المبالغ فيه للطبيعة من طرف القدامى ".[12]

و في هذا الفضاء الكارثي و المأساوي "يبقى أمامنا التفكير في توازن جديد بالرغم من صعوبة الجمع بين كفتي الميزان إن فعل التفكير(Le verbe penser), قريب من فعل التكامل (Le verbe compenser) و هذا ما يعبر عن الفعل الحقيقي للتوازن البيئي و في نفس الوقت يغنى و يثرى الفكر

[10] Michel serres. Le contrat naturel. Paris-éditions François bourin 1990. P66
[11] Ibid. p67
[12] Ibid. p68

الايكولوجي و يطوره إلى الأحسن و الأفضل."هذا هو الحق العام بالنسبة لكل الأنسقة مهما كان محتواها وشكلها"[13] حسب ميشال سير(Michel serres)" إن العودة إلى الطبيعة يعني :عقد اجتماعي متفرد و من نوع خاص تضاف إليه عملية الانتقال إلى عقد طبيعي تكافلي (contrat symbiotique) و تبادلي أين نجد علاقتنا بعالم الأشياء تترك المجال للتحكم و امتلاك الإنصات المدهش و الباهر للطبيعة"[14] حسب ميشال سير (Michel serres) و في نفس الوقت إن فكرة التبادلية, التأمل و الاحترام, أو المعرفة لا تفترض بتاتا الملكية و لا فعل التحكم. إن عقد الطبيعة هو عقد هدنة و مهادنة داخل حرب موضوعية أعلنها الإنسان على الطبيعة, إنه عقد تكافل بين الأفراد و الجماعات و بين جميع الناس محليا و عالميا.

لقد وقف ميشال سير (Michel serres) ضد نزعة مركزية الإنسان من خلال حقوق الطبيعة, وقد غير سيرserres من ايكولوجيا المفكرين السياسيين للعقد الاجتماعي إلى العقد الطبيعي بحيث يصبح الكون كله موضوعا للحق و اعتبار الإنسان مركزا للكون حسب سيرserres "مجرد أسطورة بل يجب أن نحفظه أولا من نفسه قبل كل شيء"[15] .

قائمة المصادروالمراجع

- Jacqueline Russ. Dictionnaire de philosophie. Bordas 2004.
- Albert Morfaux. Dictionnaire de la philosophie. Bordas 2005.
- Luc ferry. Le nouvel ordre écologique. l'arbre, l'animal et l'homme, grasset, paris 1992.
- Michel serres. Le contrat naturel. Paris-éditions François bourin 1990.
- Luc Ferry, **Le nouvel ordre écologique : l'arbre, l'animal et l'homme**, op. cit
- Luc Ferry, **Le nouvel ordre écologique : l'arbre, l'animal et l'homme**, op.cit

-فريدريش نيتشه، **غسق الأوثان أوكيف نتعاطى الفلسفة قرعاً بالمطرقة**، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، بيروت-بغداد، 2010

[13] Ibid. p69

[14] Ibid. p70

[15] Ibid. p115